العامل الديني ولاية الفقيه ودوره في السياسة الخارجية الإيرانية ـ حزب الله اللبناني أنموذجاً

أ.محمد عمر عيسى اشويكات* ـ قسم العلوم السياسية ـ كلية القانون والعلوم السياسية ـ جامعة الزنتان، ليبيا
الإيميل: mohammed.shwekat@uoz.edu.ly

Religious Factor of the Guardianship of the Jurist and its Role in Iranian Foreign Policy: Lebanese Hezbollah as a Model

Muhammad O. Ashwikat* - Department of Political Science - Faculty of Law and Political Science - University of Zintan

Abstract :

The problem posed by the study, which asks about Iran's ability to achieve a high degree of influence in its regional neighborhood, and the hypothesis that Iranian foreign policy bases its strategies on the ideological factor and religious beliefs, and that Iran has used Shiite religious discourse in mobilization within Shiite areas, both in the Gulf region and the Middle East in general and in Lebanon in particular, and Iran was able to be in the direct confrontation line with the Zionist entity through Hezbollah, which Hezbollah in Lebanon did not hide its loyalty to Iran, which it considers the center of command for the political and military decision of the party, and the research dealt with the relationship between Iran and Hezbollah and how Hezbollah's military and political capabilities have developed as a result of Iranian support for the party directly, publicly and continuously.

Key words: Guardianship of the Jurist, Iranian Foreign Policy, Lebanese Hezbollah.

الملخـــــــص:

من خلال الاشكالية التي تطرحها الدراسة والتي تتسأل عن استطاعة ايران تحقيق قدر عالي من النفوذ في مناطق جوارها الاقليمي، والفرضية التي تبنى على أن السياسة الخارجية الايرانية تبني استراتيجياتها على العامل الايديولوجي والمعتقدات الدينية، وأن إيران قد استخدمت الخطاب الديني الشيعي في التعبئة داخل مناطق

الشيعة سواء في منطقة الخليج والشرق الاوسط بشكل عام وفي لبنان بشكل خاص، واستطاعت إيران أن تكون في خط المواجهة المباشر مع الكيان الصهيوني من خلال حزب الله الذي يتمتع بقدرة قتالية وتسليح عالي، ايضا فإن حزب الله في لبنان لم يخفي ولاءه إلى إيران التي يعتبرها مركز القيادة بالنسبة للقرار السياسي والعسكري للحزب، وقد تناول البحث العلاقة بين إيران وحزب الله وكيف تطورت قدرات حزب الله العسكرية والسياسية نتيجة للدعم الإيراني للحزب بشكل مباشر ومعلن ومستمر .

المقدمة:

إن أولى متطلبات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه محيطها الإقليمي بعد ثورة الخميني 1979م، هو تصدير الثورة الإسلامية الإيرانية والتي قامت سنة 1979م، واطاحت بنظام الشاه الموالي للولايات المتحدة الامريكية في فترة الستينيات والسبعينيات القرن الماضي، حيث تبنى النظام السياسي الايراني مبدأ تصدير الثورة الاسلامية على منهج الشيعة الاثني عشرية، كفكر ايديولوجي ومعتقد ديني وسياسي حيث ينتشر في مناطق النفوذ والمجال الحيوي بالنسبة لإيران، وبالتالي انتهجت جمهورية ايران جميع السبل لتهيئة البيئة الحاضنة لهذا الفكر والمعتقد الديني والسياسي في ذات الوقت

لذلك فقد استخدم النظام السياسي الايراني جميع الادوات المتاحة داخل مجاله الحيوي منها لبنان التي عانت من ويلات الحروب الاهلية والطائفية، كما ان لبنان ايضا تعرضت الى الاستبداد السياسي والتدخلات الخارجية في عمق سياساتها واراضيها، نذكر منها التدخل السوري ابان الحرب الاهلية والاجتياح الاسرائيلي الذي وصل الى عمق بيروت، كما ان النظام السياسي للجمهورية الاسلامية الايرانية اضحى مسؤول بشكل مباشر على الانقسام الداخلي في لبنان، ايضا مسؤولية الجمهورية الإسلامية على الكثير من الاحداث السياسية داخل لبنان ومنطقة شبه الجزيرة العربية، سواء كانت هذه الاحداث سياسية او امنية او عسكرية، لآن النظام السياسي الإيراني قد ارتبط بالكثير من حركات التحرر والحركات الثورية بالمنطقة، ومن اهم هذه الحركات "حزب الله اللبناني"، كما ان الجمهورية الإسلامية تدعم هذه الحركات الثورية الشيعية دعما غير محدود بإمكانيات الدولة، حتى اصبحت هذه الحركات اذرع للنظام السياسي والعسكري والامني الإيراني خارج إيران، وتعمل من خلالها لتنفيذ

اهداف وتحقيق مصالح استراتيجية والتي ارتبطت دائما بالسياسة الخارجية الإيرانية

إشكالية الدراســـــة:

تتمحور اشكالية الدراسة في ما مدى استطاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ان تحقق اهدافها السياسية والايديولوجية والاستراتيجية في مناطق نفوذها من خلال تنفيذ سياساتها الخارجية؟

وهل استطاعت الجمهورية الإسلامية مد نفوذها في داخل لبنان من خلال حزب الله الذي أصبح قوة سياسية تمتلك جناح عسكري ذو تأثير داخل مناطق نفوذ المملكة العربية السعودية والقوة العربية المناهضة للمد الشيعي في منطقة شبه الجزيرة العربية والشرق الاوسط؟

فرضية الدراسة:

أن السياسات الإيرانية لها دور وأثر كبير على محيطها الإقليمي، وأن إيران تدخل في مواجهة مباشرة مع دول وحكومات المحيط الذي تواجهه بسياساتها وسلوكها في المنطقة، قد ادى إلى تصدير الثورة الإسلامية تحت شعار ولاية الفقيه، مما ادى إلى اتجاه محيط إيران الإقليمي العربي والإسلامي.

اهداف الدراسة:

أن الهدف الأساسي من الدراسة هو التعرف على السلوك السياسي الذي تتبعه الخارجية الإيرانية في محيطها الإقليمي، ودراسة للأدوات التي تستخدمها السياسة الخارجية الإيرانية لمد نفوذها وبسط سيطرتها على محيطها الإقليمي الذي تعتبره منطقة نفوذ، وتقييم مدى خطورة المد الشيعي على المنطقة واتجاهه إلى مناطق أخرى ابعد، وكيف أن السياسة الخارجية الإيرانية تتدخل في الشؤون الداخلية لدول الجوار، ايضا فإن السلوك الإيراني يعزز الانقسام ويثير نزعة العداء والحرب الطائفية داخل بعض الدول منها الجمهورية اللبنانية .

اهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في شرح الواقع السياسي لمنطقة الجوار الإيراني من خلال دراسة الفعل والسلوك السياسي الإيراني في المنطقة، والوصول إلى نتائج تحدد مدى تأثير إيران في الفعل السياسي والأمني بالمنطقة، كما أن إيران تعلن من ضمن اهدافها السياسية وعلى رأسها تصدير الثورة الإسلامية والمنهج الشيعي الأنثى عشرية، والذي يخالف المنهج السني الذي ينتشر في منطقة الجوار الإقليمي لإيران، خاصة وأن إيران

لا تحدد في إعلان تصديرها للثورة منطقة محددة وإنما ترفع الشعار بلا حدود جغرافية وإقليمية .

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المدخل التاريخي في تتبع نشأة وتطور الفكر الشيعي الأثنى عشرية اضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل متغيرات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، وتحليل التفاعل في السياسات الخارجية والداخلية للدول الخليجية والشرق اوسطية تجاه الفعل الإيراني المعلن خاصة في القضايا ذات الطابع السياسي والأمني ايضا الاقتصادي.

تقسيمات الدراسة:

جاءت الدراسة في ثلاث مباحث على النحو التالي:

المبحث الاول: دور الولي الفقيه في السلوك الإيراني الخارجي، والمبحث الثاني: ولاية الفقيه نظرياً وعملياً، والمبحث الثالث: نشأة حزب الله في لبنان وارتباطه بولاية الفقيه في إيران.

المبحث الأول ـ دور الولي الفقيه في السلوك الإيراني الخارجي

تشهد إيران تنافساً بين تيارين أساسيين هما اليمين المحافظ واليسار الراديكالي وساعد على هذا التنافس أن الأجواء الإيرانية جاهزة له بسبب التوازن النسبي بين التيارات المختلفة لأول مرة منذ الثورة الإسلامية 1979م. ففي بداية الثورة سيطر بشكل مؤقت اليسار الراديكالي الذى سرعان ما فقد قواعده بإقالة أبو الحسن بني صدر أحد أهم رموزه وأول رئيس وزراء في عهد الثورة 1981م، ثم بدأ اليمين المحافظ في الصعود تدريجياً ساعده على ذلك المساندة المطلقة التي أعطاها أيامها الحوازات الدينية والتجار، في حين واجه اليسار الراديكالي صعوبات عديدة دفعته تدريجياً للانزواء والعمل كمعارضة سياسية داخل إيران أو خارجها، إلا أن التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إيران أدت إلى بروز قوى وتيارات سياسية لا يمكن تصنيفها بأنها يمين أو يسار إسلامي، فالجمهوريات الإيرانية المتعاقبة، خاصة في فترة حكم رافسنجاني أفرزت تياراً من كوادر التكنوقراط والفنيين والمهنيين أصحاب الكفاءات والقدرات الخارجين من عباءة الدولة وليس الثورة، إذ أن أغلبهم لم ينخرط في عمل سياسي أو ثوري قبل أو بعد الثورة، بل انخرطوا مع رافسنجاني في عملية بناء إيران عشيه خروجها من الحرب المهلكة مع العراق واختارهم رافسنجاني

على أساس قدرتهم علي العمل والبناء والانجاز ، وليس علي أساس ولائهم للولي الفقيه أو خط الإمام[1] .

وهؤلاء بمرور الوقت بالإضافة لطبقة من المثقفين والأكاديميين والسياسيين والليبراليين استطاعوا عمل توازن بين اليمين المحافظ المهيمن واليسار الراديكالي الذين كانوا أميل إلى أطروحاته وبرامجه هذا التوازن إدي إلى تنافس حاد أججته تأييد الولي الفقيه خامنئي، والرئيس رافسنجاني أن إيران لم تشهد تعديلاً في الدستور من أجل انتخاب رافسنجاني لفترة رئاسة ثالثة.

وبالتالي نجد أنفسنا أمام نظام سياسي دستوري يتطور من إذ الشـكل، عتيق جداً من إذ المضمون، فيوجد دستور مكتوب، وسلطات ثلاث أساسية، وهناك فصل بينهما ويوجد مؤسسات للرقابة على أداء السلطات الثلاث، وهناك انتخابات دورية مباشرة، وبجانب كل هذا سلطة الولي الفقيه [2].

وهو أيضًا أعلى سلطة روحية في إيران، يختاره مجلس الخبراء، ويجب أن يبلغ الولي الفقيه أعلى درجات المعرفة الدينية والفقهية فينال (رتبة آية الله) التي هي أسمى رتبة دينية يمكن الحصول عليها.

والولي الفقيه لديه سلطات هائلة، فهو يضع الأطر العامة لكل سياسات الدولة، كما يحدد تفاصيل التنفيذ ويجب أن يصدق على اختيار رئيس الجمهورية، ويعين القائد العام لقوات حرس الثورة ورئيس أركان الجيش والفقهاء في مجلس صيانة الدستور وبإمكانه – إذا أراد- عزل هؤلاء بالإضافة إلى سلطته في إعلان حالة الحرب او الصلح، ما يعنى أن هناك مؤسسات دستورية، ومجالاً للعمل السياسي بالمعنى الحديث، إلا أن كل هذا يسكن فضاء أشمل وأوسع من التقليدية والمحافظة الدينية التي تدرك الكون علي نحو هيراركى يبطل عمل المؤسسات الدستورية القائمة ويجعل أداءها شكلياً، فبدل من فتح المجال لكل القوي والتيارات، وترسيخ مبادئ حرية النظم والتغير، تقوم المؤسسات الدستورية مثل مجلس صيانة الدستور بتنقية القوى السياسية المسموح لها بالمشاركة في الحدث السياسي [3]. وبدأ التنافس الحقيقي بين التيارات السياسة وألتفت الحوزات الدينية والتجار ورجال السياسة في إيران والعاملون في مؤسسة تشخيص مصلحة النظام، مجلس صيانة الدستور، وأعضاء البرلمان والمكتب السياسي لخامنئي المرشد المُرشد العام للدولة كلهم مع حجة الإسلام ناطق فورى.

ففي أكثر من مناسبة أفصح الولي الفقيه عن مساندة ناطق نوري الأمر الذى دفع خاتمي ورى شهري إلى الإعلان عن إمكانية انسحابهما إذ كان فوزهما يتعارض مع الولي الفقيه، إلا أنهما أكملا الانتخابات بعد تأكيدات من رافسنجاني وخامنئي بأن

الانتخابات ستكون الفيصل ولا مجال للتزوير [4] ، وهي الجناح أو البدعة التي أضيفت إلى سلطة الذين يدعون أنهم نواب المهدى في عصر الغيبة الكبرى، هذه فكره حيلوليه دخلت الفكر الإسلامي من الفكر المسيحي القائل أن الله تجسد في المسيح، والمسيح تجسد في الجد الأعظم، وفى عصر محاكم التفتيش في إسبانيا وإيطاليا وقسم من فرنسا كان البابا يحكم المسيحيين وغيرهم باسم السلطة الإلهية المطلقة إذ كان يأمر بالإعدام والسجن، وكان حراسه يدخلون البيوت الأمنة ليل نهار ليعبثوا بأهلها فساداً ونكراً، وقد دخلت هذه البدعة إلى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وأخذت طابعاً عقائدياً عندما أخذ علماء الشيعة يسهبون في الإمامة ويقولون بأنها منصب إلهى أرتبط بالإمام كخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما أن الإمام حي ولكنه غائب عن الأنظار ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه لأن النائب يقوم مقام المنوب في كل شيء.

وأنشغل فقهاء الشيعة بفكرة ولاية الفقيه ولكن كثيرا منهم أنكروا الولاية بالمعني الذي تقدم ذكره أن الولاية خاصة بالرسول، والأئمة الاثني عشر من بعد ولا تنتقل إلى نواب الأمام، وأن ولاية الفقيه لا تعني أكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين أمين على وقف لا متولى له أو منصب قيِّم على مجنون أو قاصر.

ومن وجهة نظر الباحث أن فكرة ولاية الفقيه لم تخرج إلى حيز الوجود أو العمل إلا بعد أن استلم السلطة في إيران الشاه إسماعيل الصفوي[1] ، أيفي عصر الصراع بين الشيعة والتشيع[5] ، وبدأ الصوفيين التحرك بين المدائن الإيرانية ينشدون الإشعار والمدائح في حق علي وأهل بيته وتحث الناس على الدخول في المذهب الشيعي، وأعمل الشاه إسماعيل السيف في رقاب الذين لم يعلنوا تشيعهم، ومع أن الشاه إسماعيل كان شيعياً بقرار نفسه ومقامه الصوفي إلا أن إعطاء الصفة الشيعية لإيران كان يهم النظام الجديد كثيراً فالحروب العثمانية وإن كانت في حقيقتها حروباً إقليمية لها جذورها الماضية إلا أن الاستمرار في هذه الحروب كان يصطدم بفكرة حرمة حَرب المسلم مع المسلم وقتل المسلم للمسلم الأمر الذي كان يلاقى معارضة داخل إيران، ولكن المذهب الذي أملاه الشاه على الشعب الإيراني أعطي تماسكاً قوياً للإيرانيين،

[1] (*) الشاه اسماعيل الصفوي: ينحدر من اسرة صوفية تقطن مدينة أردبيل شمال غربي إيران وانحدر من أجداد أقطاب الحركة الصوفية شعارها حب علي وأهل البيت، وعلا نفوذ أجداده في مقاطعة أذربيجان التركية، واستطاع أن ينصب نفسيه ملكاً على إيران بعد الحروب الإيرانية العثمانية التي أنهكت قوى إيران، وتوج ملكا وهو سن الثالثة عشرة عام 907هـ، لم تكن إيران شيعية عند توليه السلطة ما عدا قُم، قاشان، نيسابور (الشاه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران).

وقضى علي كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم إيران إلى خلافته ورضخ لولاية الفقيه، والزعامة المذهبية الشيعية[2(**)] كان مقرها جبل عامل بلبنان الموطن الثاني للشيعة بعد العراق، ويظهر بوضوح أن فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي، وعليها كانت تبني فكرة عدم شرعية الخلاقة الإسلامية أو أية حكومة أخرى، إلا إذا أجازها وباركها الفقيه الذي يمثل الأمام الحى الغائب المنصوب بأمر الله .

واستطاع الشاه إسماعيل أن يجعل من ولاية الفقيه منصباً يعلو على مقام الشاه وكل المناصب الأخرى.

وفى تاريخنا المعاصر وهو عهد الصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسرح الأحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة أخذت تعصف بكل القيم الإسلامية والإنسانية على السواء.

أما عن وجهة النظر الأكثر انفتاحا وتنويرا والتي تبناها محمد خاتمي عندما كان رئيسا لإيران، وكان خاتمي قد ساق رأيه في كتابه بعنوان " الديمقراطية وحاكمية السلطة "، فقال: " إنني أعتقد أن الحكومة لم تكن على الشكل المذكور حتى في عصر النبي الأكرم، وهو الذي يحظى بالعصمة الإلهية، وحتى في الفكر الشيعي، وفي عهد علي بن ابي طالب لم يكن هناك تصور كهذا بشأن الحاكم، وقد طرح موضوع الحكومة بنحو واضح في زمن الإمام الخميني، وتم الاعتراف بصوت الشعب ودوره الحاسم في مشروعية السلطة كما جاء في الدستور [6].

المبحث الثاني ـ ولاية الفقيه نظرياً وعملياً:

يرتكز أساس النظرية لدى فقهاء الشيعة على الآية الكريمة: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ**﴾ [7] . ويقول علماء الشيعة أن المقصود من أولي الأمر في الآية الكريمة أنما هو الخليفة أو الأمام الشرعي الذى هو الإمام علي ومن بعده أولادة حتى الإمام المهدي، وفى غيبة الإمام المهدى تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محل الإمام وهم النواب العاملون.

[2(**)] الزعامة المذهبية الشيعية: مقرها آنذاك في جبل عامل الموطن الثاني للشيعة، وكان الشاه يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً أسس للشيعة مجداً لم يؤسس أحد مثله من قبل إلا أنه وضخ لولاية الفقيه، طلب من على بن عبد العال الكركى العاملى كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان أن يحكم له دعائم السياسة والملك ويحظى باحترام عظيم في إيران من قبل الملوك والحكام والعلاقة بينهما على مر التاريخ عل ما يرام إلا أنه كان يحدث في بعض الأحيان صراع بينها ينتهي بانتصار احدهما على الآخر.

ونرى أن نظرية ولاية الفقيه تصطدم بنص صريح جاء في القرآن الكريم وضح صلاحية الفقهاء بعبارة صريحة، والذين أسهبوا في بطلان نظرية الفقيه لم يذكروا هذه النقطة الجوهرية التي تدحض فكرة ولاية الفقيه من أساسها وتنسقها نسقاً فالآية الكريمة التي تفند ولاية الفقيه وتنص على مقدار صلاحيته هي:{**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**}8] فالآية صريحة فإن واجب الفقيه هو "التبليغ والإرشاد" في شئون الدين وليست في الآية إشارة إلى وجوب إطاعة الفقيه أو ولايته.

إذا من الواضح أذن فكرة ولاية الفقيه تتعارض مع نص الكتاب ومن يعارض النص الإلهي يعتبر خارجاً عن الإسلام، فالآية الكريمة:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" فالآية تجزم أن طاعة أولى الأمر تختلف عن إطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإنها إطاعة محدودة في نطاق صلاحيات انبسطت بالوالي حسب طبيعة عمله حتي أن الحكم في التنازعات بين المسلمين سلب عنه كما تنص الآية.

ثم أن الآية واضحة وصريحه أنها نزلت في الذين عينهم الرسول صل الله عليه وسلم في عهد كولاة يتولون عنه في شؤون المسلمين، والآية نزلت في عهد الرسول صل الله عليه وسلم وهى تخص عهده والإشارة إليه أشاره شخصية لا عمومية.

وعموم الآية إذا شملت أولي الأمر بعد عصر الرسول صل الله عليه وسلم فإنها واضحة في عدم وجوب إطاعة أوامرهم في التنازعات التي تحدث بين المسلمين الأمر الذي يقلل من شأن أولي الأمر ويفقدهم صلاحية الولاية العامة أو الولاية المطلقة.

إذا الغريب كيف أستدل المستدلين بهذه الآية على ولاية الفقيه وإعطائه حق التحكم في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية؟ فإذا كان لا يحق لأولى الأمر التدخل في تنازعات المسلمين كما نص عليه الكتاب حتى لا يتخذ اسم الله ورسوله ذريعة لكى يحكم المجتمع الإسلامي حسب أهوائه وعقائده بدون الأخذ بالشورى. فهل يمكن القول أن نائب أولي الأمر يتمتع بحقوق أكثر من المنوب عنه؟ [9].

وفى إيران مهد ولاية الفقيه عبرنا عنه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه أن تحتل الصدارة في الدستور الإيراني الجديد وتحتل أهم المواقع الأساسية منه، كما استطاعت أن تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد.

ولكن مع كل هذا لم يستطع حُماة الدستور وواضعوه والمدافعين عنه من حل التناقضات بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية، ولعل من أولى هذه المفارقات

والتناقضات التي تتساءل الشيعة عنها في كل مكان هي هل أن ولاية الفقيه منصب ديني أم منصب سياسي؟.

فإذا كان منصباً دينياً لا يخضع للانتخابات ولا يخضع للعزل ولا يخضع للتفريق فكل من بلغ مرتبة الفقاهة اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ويجب على المسلمين إطاعة أوامره والرضوخ لولايته، ولكن حدث أن فقهاء نكبوا وسجنوا وأسروا بسبب مواقفهم الفكرية أو السياسية من سلطان الفقيه الحاكم [10].

أما إذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسيا فلماذا ارتبط بالدين وبالمذهب وظهر في مظهر العقيدة ووجوب الإطاعة لصاحبة؟

وعندما يتضارب الفقهاء في الآراء فلمن يا تري يجب على المسلمين أن يستجيبوا ويطيعوا وكيف يجمعوا بين آراء متضاربة أو متناقضة؟

حقاً إن إسناد قانون كهذا إلى الإسلام إهانة إلى ذلك الدين القيم الذي أرسله الله ليرفع من القيم الإنسانية.

تجاوزت نظرية ولاية الفقيه الحدود الإيرانية وتسربت إلى مناطق شيعية أخرى وبدأت تعصف بالشيعة هناك كما عصفت بها إيران، وهناك في إيران النظر الشيعي رد فعل عنيف بالنسبة للمذهب وما رافقه من سلطة الفقهاء والمرجعية المذهبية بعد أن عاني الشعب الإيراني من ولاية الفقيه عناء يهدد المجتمع الشيعي في إيران.

ولاية الفقيه لم يسبق لفكرة دينية في التاريخ البشري كلفت البشرية من الدماء بقدر ما كلفته ولاية الفقيه عند الشيعة منذ ظهورها فالفكرة بدأت تنسف بنفسها، وعندما يبدأ الهدم الداخلي بتفاعل في نظرية او فكرة بسبب فشلها في التطبيق أو بسبب المآسي التي ترتكب باسمها تكون النظرية في طريق إلى الاضمحلال والزوال التام [11].

حياد الولي الفقيه

هكذا بدأت أجواء الحملة الانتخابية تنافساً حقيقياً وساخناً بين التيارات الأساسية وكان أبرز المرشحين حجة الإسلام ناطق نورى الذى ألتفت حوله الحوزات الدينية والتجار ورجال السياسة والناقدون في إيران والعاملون في مؤسسة تشخيص مصلحة النظام ومجلس صيانة الدستور وأعضاء البرلمان والمكتب السياسي لخامنئي المرشد العام للدولة ونجح محمد خاتمي في الحصول على أصوات الشباب والنساء والمثقفين والجامعيين والمتنورين ففي أكثر من مناسبة أفصح الولي الفقيه عن أهه يحبذ انتخاب ناطق فورى الأمر الذى دفع خاتمي درى شهر إلى الإعلان عن إمكانية الانسحاب من الانتخابات إذا كان احتمال فوزهما يتعارض مع الولي الفقيه ولكنهما اكملا الانتخابات

بعد أن حصلوا على تأكيدات من خامنئي ورافسنجاني بأن الانتخابات ستكون نزيهة وأراده الشعب ستكون الفيصل ولا مجال للتزوير [12].

بدأ رجال الدين قبول نظرية ولاية الفقيه، كما بلورها وصاغَها آية الله الخميني والتي جاءت قريبة من فكرة الملك – الفيلسوف في الفكر الينو أفلاطوني- وجمعت بين نفس القانون ومرشد المجتمع والمعلم الكامل والحاكم المثالي ونائب الله، فالفقيه يخرج من انتظاره لعودة الأمام الغائب- الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري- لينخرط مع الجماهير في عمل سياسي ينهي به عزلته واعتزاله، ويمهد به لتوفير الظروف والأسباب التي يهيئ لعودة الإمام الغائب[13] .

هذا المفهوم هو حجر الأساس في الدستور ثم البناء المؤسسي للجمهورية الإسلامية بدءً من 1979م، وإذا انتقلنا إلى الفئات الأعلى نري أنه من بين شبعه من آيات الله العظمى كان الخميني وحده هو الداعي إلى دور فعال لرجال الدين في السياسة عبر مفهوم ولاية الفقيه بينما الخمسة الأخرين من دعاة الامتناع عن العمل السياسي من جانب رجال الدين [14] .

إلا أن الثابت أن الاتجاه الذى غلب في صفوف رجال الدين هو الذي ترجم مفهوم ولاية الفقيه ليعني قيام رجال الدين بالدور المباشر في الحكم وفى الجهاز التنفيذي والإدارة – بالإضافة إلي السيطرة على السلطتين التشريعية والقضائية، وهو الاتجاه الذي حمل لواءه مطهري ثم بهشتى ثم خامنئي واتبعه قطاع عريض من رجال الدين من الفئتين الوسطى والدنيا معتبرين أن سيطرتهم المباشرة على السلطة السياسية هو أمر طبيعي في ضوء قيادتهم للثورة حتي النصر وتحملهم للتضحيات الجسام في هذا المضمار ونظر هؤلاء إلى التكنوقراط والسياسيين والموظفين من غير رجال الدين باعتبارهم أدنى درجة وعليهم تنفيذ القرارات والخطط التي يصغها رجال الدين، وقد أقرت الشخصيات المنتمية للحزب الجمهوري الإسلامي من خارج صفوف رجال الدين بمفهوم ولاية الفقيه لآية تحفظات وأقروا تفسيرات مطهري وبهشتي لهذا المفهوم مما يعنى التدخل المباشر لرجال الدين في العمل السياسي.

وهكذا وفقاً لنظرية ولاية الفقيه، حصل آية الله الخميني على مكانة بارزة في التاريخ المعاصر، بوصفه زعيماً لثورة شعبية عارمة أطاحت بأعتى العروش في المنطقة ومرجعاً دينياً نافذاً قاد أضخم إحياء مذهبي في التاريخ وأصبح ولياً للأمر نيابة عن الأمام الغائب، ومن ثم فقد اختصته الشيعة في العالم بلقب الأمام الذى لم يكن يحظى به قبل ذلك إلا الأئمة الاثنا عشر، خاصة أنه كان مستمد مكانته الدينية لدي

الشيعة من كونه فقيها يصل نسبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (وزعيماً سياسيا أقام نظم حكم إلهياً).

وهنا يمكن القول أن لقب (إمام) قد اكتسب خصائص دلالية جديدة في عالمي الدين والسياسة منها:

أ – أنه زعيم للمستضعفين في الأرض.

ب- أنه زعيم الثورة الإسلامية في إيران.

ج – أنه يتولى المرجعية الدينية والمرجعية السياسية معاً.

د – أنه نائب إمام الزمان [15] .

أما الولي الفقيه في العموم فقد اختصها الدستور الإيراني بقمة هرم السلطة في البلاد بوصفه المخول بتحديد السياسات العامة والوصي على أداء السلطات الثلاث إذ نص في مادته الخامسة على أن ولاية الأمر وإمامة الأمة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في زمن غيبة الأمام المهدى تكون بيد الفقيه العادل المتقي، العالم بأمور زمانه، الشجاع الكفء في الإدارة والتدبير [16] .

وفي هذا الإطار يلعب الولي الفقيه (المرشد الأعلى للثورة الإسلامية) الدور المفصلي، والمحور الجوهري في هيكل النظام الإيراني وإسلاميته إذ شدد دستور الجمهورية الإسلامية على مدي ست عشر مادة، على أهمية منصبه، وقدسية مكانته، إذ ينص الدستور في مادته الثانية على أن الإيمان بالإمامة والقيادة ودورهما الأساسي في استمرار الثورة يمثل احد الأركان الستة التي يقوم عليها نظام الجمهورية الإسلامية، كما نصت المادة الخامسة أيضا على أن ولاية الفقيه تؤل إلى الفقيه مادام الأمام الثاني عشر غائبا.

إلا أن هناك رأي للكاتب المصري محمد حسنين هيكل الذي كتب عن التناقض في ولاية الفقيه، أي بين الداخل والخارج كما جاء في كتابه مدافع آية الله فقال : " في التناقض بين فكرة الدين وفكرة الوطنية – مثلا – وجدت الثورة الإيرانية نفسها تتحول من ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة شيعية محاصرة في إيران " [17] .

وفي هذا يكون الرأي بأن التناقض بين ولاية الفقيه كمنظومة فقهية حاكمة اضافة إلى أنها منظومة فكرية وسياسية قائدة، تعد تناقض واضح بين مفهوم التبعية والوطنية، أي أن التبعية المقيدة بشرط الطاعة لولاية الفقيه تسمو فوق الولاء للوطن أو الانتماء إليه، وهذا يتناقض مع مفاهيم الديمقراطية والحريات وحقوق الفرد والمجتمع في التعبير أو حتى في السلوك السياسي، الذي لا يمكن إلا ضمن ولاية الفقيه المطلقة والغير مقيدة بأي قيود او حقوق مواطنة .

المبحث الثالث ـ نشأة حزب الله في لبنان وارتباطه بولاية الفقيه في إيران

أولا ـ نشـــــأة حزب الله اللبناني : لقد تأسس حزب الله اللبناني سنة 1982 حيث جاء تأسيس حزب الله من خلال اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان إثر هجمات شنها مسلحون فلسطينيون عام 1982م، فقام القادة الشيعة الى الرد على الهجوم العسكري الإسرائيلي واختلفوا مع حكومة أمل التي كانت تعتمد على الدعم الشعبي في تلك المرحلة [18] ، ولقد كان حزب الله منذ جماعة سرية، وكان أول اللبنانيون الذين شكوا كوادره (حزب الله) الأولى شبابا، حيث أن بعضهم لم يكن قد بلغ العشرين من عمره، وكان السيد حسن نصر الله في الثانية والعشرين من العمر سنة 1982، حيث كان ممثل الحركة أمل في البرزوريه قرينه لجنوب لبنان ، وكان مرشد السيد عباس من منطقة الشياح بالضاحية الجنوبية بالبقاع، فقد تولى رعايته بالنجف بتوجيه من باقر الصدر. وكان راغب الصدر قد ولد بالجنوب وكان عمره (30) لذى الغزو الإسرائيلي لبنان، وأما الشيخ صبحي الطفيلي كان عمره (34) عام والذي أصبح أول من أسس لحزب الله عام 1989م [19] ؛ ولكن في عام 1985 أعلن عن تأسيس حزب الله رسمياً خطاب مفتوح وصفته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعدوي الإسلام الرئيسين ودعا إلى تدمير إسرائيل التي وصفها بأنها تحتل أراضي المسلمين، كما دعا الخطاب إلى تبني نظام إسلامي يقوم على الاختيار الحر والمباشر من الجماهير وليس على أساس الإكراه وبعد توقيع اتفاق الطائف عام 1989 الذي وضع حد لنهاية الحرب الأهلية في لبنان، وطلب بنزع السلاح من المليشيات اتجه حزب الله لإعادة تقديم جناحه العسكري على أنه قوة مقاومة إسلامية تهدف إلى إنها الاحتلال الإسرائيلي للبلاد ما سمح له بالبقاء على تسليحه ، وبعد أن فرض الجيش السوري التهدئة وقف القتال في لبنان عام 1990 واصل حزب الله العصابات في جنوب لبنان ضد القوات الإسرائيلية وفي عام 1992 استطاع حزب الله المشاركة في الانتخابات العامة في البلاد لأول مرة لتحقيق مكسب كبير بحصوله على 12 مقعداً نيابياً ، وفي انتخابات 2009 فاز حزب الله 10مقاعد بالبرلمان وبقى في حكومة الوحدة الوطنية في لبنان، وفي عام 2011 اسقط حزب الله وحلفائه حكومة الوحدة الوطنية بقيادة سعد الحريري، وحذر حزب الله من أنه لن يقف صامتا أمام إنهاء 4 أعضاء من أعضائه بالتورط في اغتيال رفيق الحريري ، حيث واجه حزب الله في السنوات الأخيرة ضغوطاً متزايدة بعد تصنيف دول متعددة له بأنه منظمة إرهابية واتهامه بإدارة شبكة عالمية للحصول على التمويل وتجنيد الأتباع.صنفته الولايات المتحدة سنة 1995 حزب الله كمنظمة إرهابية [20].

ثانياً: تداعيات اغتيال نصر الله على مستقبل حزب الله ولبنان : يعتبر اغتيال حسن نصر الله حدثا محوريا ليس فقط بسبب دوره الفعال في بنية الحزب، بل أيضا لما يمثله من أهمية على الساحة اللبنانية والإيرانية إذ يعد حزب نصر الله أحد أبرز الشخصيات المؤثرة في السياسة الإقليمية الإيرانية داخل لبنان وخارجها.

حزب الله وإمكانية تعرضه للتفكيك

تشكل عملية استبدال نصر الله تحديا غير مسبوق للحزب، خاصة في ضوء النجاحات التي حققتها إسرائيل والتي أدت بالفعل إلى تآكل الهيكل القيادي لحزب الله ومن ثم ستواجه القيادة الجديدة صعوبات كبيرة إذا كان دور حسن نصر الله القيادي واستمراره لسنوات طويلة مصدر قوة لتماسك التنظيم سيكون من الضروري لخليفة نصر الله أن يقود الطريق لترشيح سلطة بسرعة بالإضافة إلى مواجهة التهديدات العسكرية المستمرة القادمة من إسرائيل.

وأما بالنسبة لافتراض انهيار الحزب وتملكه بعد فقدان قيادته لا يمكن تحقيقه عبر قتل زعامته السياسة والعسكرية فحسب وذلك نظرا لعوامل متعددة أهمها:

أولاً: الدروع المتنوع الذي يلعبه الحزب: أن حزب الله يمتلك جذورا عميقة داخل المجتمع اللبناني مما يجعل استمراريته أكثر احتمالا حتى مع تعرض قادته للخسارة، ويرجع ذلك لسبب كبير إلى ايدولوجيته الراسخة وبنيته القوية والدعم الواسع النطاق الممتد من إيران.

ثانياً: الهيكل التنظيمي أثبتت تجربة حزب الله التي تمتد إلى أكثر من 40 عام أنه ليس رهين لقادة فرديين بل يعمل التنظيم ككيان منظم وذو انضباط علٍ مع أليات داخلية قوية تمكنه من التكييف في مواجهة التحولات القيادية.

ثالثاً: القوة في القيادة الأمنية : تبقى القيادة الأمنية في لحزب الله سليمة وفقا للمعلومات المتاحة حتى الآن، حيث تمارس دورها في تنظيم وضبط صفوف الحزب وتنسيق العمل الميداني داخلياً وخارجياً. وبالرغم من تلك العوامل إلا أنه سيكون تحدياً كبيراً إعادة ترتيب الصفوف الداخلية للحزب على المدى القصير فهذه العملية تحتاج إلى خمس سنوات أو أكثر لتكتمل بالإضافة إلى أن إعادة هيكلة الحزب مرتبطة لما تقوم به إسرائيل فإذا استطاعت تل أبيب وضع نفسها في موقف يسمح لها بالتدخل في لبنان متى شاءت فسيكون من غير المؤكد قدرة حزب الله مع التعامل بناء عليه من هذا الوضع.

الخيارات والتحديات القادمة أمام حزب الله

تعتمد المرحلة القادمة عقب اغتيال نصر الله وخليفته المحتمل على أساليب الحزب، وكذلك ردود فعل إيران حتى الأن حيث أن حزب الله لم يعد قادراً على حماية عناصره أو منع إسرائيل من استهدافه ولايزال يتكبد خسائر نتيجة الحملة الإسرائيلية الواسعة والعمليات السرية مع اغتيال الشخصية الأكثر تأثيرا في حزب الله وما بين العديد من الشيعة اللبنانيين باعتباره زعيما دينياً ونائبا للمرشد الأعلى خامئني في لبنان، بات لزاما على حزب الله الاستمرار بضربات موجهة نحو إسرائيل، سعياً وراء تنفيذ عملية انتقامية مكلفة للعدو ولردع المزيد من الهجمات الإسرائيلية ضد ما تبقى من قيادته [21] .

وعلى الرغم من أن حزب الله لا يزال يتعافى بعد تعطيل هيكلية جراء الهجمات الموجهة وعمليات الاغتيال الأخيرة فإن هناك تقديرات أمريكية غير رسمية تشير إلى أنه لايزال يمتلك القدرة على إطلاق عدد كبير من الصواريخ ويرجح إلى أن يلجأ حزب الله أيضاً لصواريخه الباليستية بعيدة المدى والأكثر تطوراً.

الخاتمة:

إن الدراسة قيد البحث اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب المدخل التاريخي حتى تجيب على التساؤلات التي طرحتها الاشكالية، وقد حققت الدراسة قدر كبير من الاجابات حتى يسهل فهم العلاقة بين إيران وسياساتها الخارجية التي تتبنى استراتيجية تصدير الثورة، وبين نشأة حزب الله في لبنان وكيف تحول من حزب سياسي إلى جناح عسكري أصبح له دور بارز في إدارة الصراع بمنطقة الشرق الاوسط خاصة الصراع القائم مع الكيان الصهيوني، ولأهمية لبنان الاستراتيجية وموقعها المتاخم للحدود مع جيش الاحتلال الصهيوني اضافة إلى التعدد الطائفي والديني في لبنان، فإن حزب الله قد واجه جيش الاحتلال على الحدود اللبنانية الفلسطينية التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي، وقد كانت المواجهات عنيفة كبدت الطرفين خسائر أعادت الحسابات بين الطرفين، فإن حزب الله كان يواجه تيار معادي لسياساته خاصة ذات الطابع العسكري المسلح ويعتبرها خاطئة وتجر لبنان إلى الصراع المدمر للبلاد، إلا ان حزب الله قد استمر في نهجه السياسي والعسكري وولاءه لإيران ولولاية الفقيه المرشد الاعلى في إيران .

المراجع :

1- إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية .. الجذور والأيديولوجية، دار الوطن العربي، بيروت، عام1979م، صـ124.
2- محمد رحيم عيوضـي، معالم الثورة الإسلامية .. تحليل وتقييم، سلسلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 35م، عام2003م، صـ84– 85.
3- وجيـه كوثـراني، الفقيه والسلطات، دراسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية القاجارية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2016م، صـ136.
4- أمين حسنى أبو السعود، دور المعارضة الدينية في السياسة الإيرانية، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، عام1997م، -127.
5- موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح من الصراع بين الشيعة والتشيع، عام1988م، ص -70.
6- محمد خاتمي، ترجمة سرمد الطائي، الديمقراطية وحاكمية الأمة، دار الفكر الطبعة الاولى مارس 2003، ص 19 .
7- قر]ن كريم سورة النساء، الآية 59.
8- قرأن كريم سورة التوبة، الآية 122.
9- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، القاهرة، عام1994م، ص 118– 119.
10- آمـال السـبكي، مرجع سبق ذكره، ص50.
11- Fred Halliday, Iran : Dictatorship and Development (Second Edition :England Penguin Books,(1979), p. 59
12- منال لطفى، هل ستكون الجمهورية الثالثة مدخلا لتفكك إرث الخميني، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، مجلة السياسية الدولية، العدد138، أكتوبر1999م، ص179.
13- محمد عمارة، الفكر القائد للثورة الإيرانية، دار ثابت للنشر والطباعة، القاهرة، 1982م، صـ5-9 و10-12، وأيضا: : Mongol Bayal, The Iranian Revolution of 78-79 Fun damentalis or Modern? "The middle East fournal, vol, 37, No 1 .34 .(winter ,1983), p
14- حامد النجار، دور العلماء في المعارضة السياسية الإيرانية الحديثة، مركز الأبحاث العربية، بيروت عام1981م، صـ1984 .
15- سعيد الصباغ، المعجم الموسوعي فارسي/عربي، دار الثقافة العربية، القاهرة، عام2011م .
16- دستور جمهورية أيران الإسلامية، إصدار مديرية الترجمة والنشر، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، عام1997م، وأنظر أيضًا، ويلفريدبوختا: من يحكم إيران؟ بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، أبو ظبى، 2003م.
17- محمد حسنين هيكل، مدافع أية الله قصة إيران والثورة، دار الشروق مدينة نصر القاهرة، الطبعة السابعة 2006م، ص13 .
18- حزب الله اللبناني: الجذور ومنابع النفوذ BBC News - عربي/ ديسمبر 2018أخر تحديث 15 أكتوبر / 2021.
19- اوجستاس ريتشارد نورتون، ترجمة فاطمة نصر، اصدارات سطور ابريل 2007 الطبعة الاولى، ص 15 .

20- حزب الله اللبناني: الجذور ومنابع النفوذ BBC News - عربي حزب الله البناني، الجذو ومنازع النفوذ.

21- "ما مستقبل القرار 1701 الخاص بوقف القتال في لبنان" ما مستقبل القرار 1701 الخاص بوقف القتال في لبنان؟ | سياسة | الجزيرة نت أكتوبر 2024 .

(□) الشاه اسماعيل الصفوي: ينحدر من اسرة صوفية تقطن مدينة أردبيل شمال غربي إيران وانحدر من أجداد أقطاب الحركة الصوفية شعارها حب علي وأهل البيت، وعلا نفوذ أجداده في مقاطعة أذربيجان التركية، واستطاع أن ينصب نفسيه ملكاً على إيران بعد الحروب الإيرانية العثمانية التي أنهكت قوى إيران، وتوج ملكا وهو سن الثالثة عشرة عام 907هـ، لم تكن إيران شيعية عند توليه السلطة ما عدا قُم، قاشان، نيسابور (الشاه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران).

(**) الزعامة المذهبية الشيعية: مقرها آنذاك في جبل عامل الموطن الثاني للشيعة، وكان الشاه يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً أسس للشيعة مجداً لم يؤسس أحد مثله من قبل إلا أنه وضخ لولاية الفقيه، طلب من على بن عبد العال الكركى العاملى كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان أن يحكم له دعائم السياسة والملك ويحظى باحترام عظيم في إيران من قبل الملوك والحكام والعلاقة بينهما على مر التاريخ عل ما يرام إلا أنه كان يحدث في بعض الأحيان صراع بينها ينتهي بانتصار احدهما على الآخر.

تاريخ التقديم 10 / 7 / 2025م تاريخ القبول 27 / 7 / 2025م